وجفّت انهارها وكادت تصير مفازة . وان جزيرة القديسة هيلانة منفى نبوليون الاول كانت لما اكتشفها البرتوغاليون سنة ١٥٠٢ مغطاة بالاشجار والاعشاب المختصة بها فأُدخل اليها قليل من المعزى سنة ١٥١٣ فتوالدت فيها وصارت الوفًا في سنين قليلة . وكانت الاشجار فيها كثيرة حتى لم يبالوا ان يحرقوا اثنين الكنس بخشب الابنوس سنة ١٧٠٩ ولكن لم تأتِ سنة ١٨١٠ حتى قرضت المعزى كل تلك الاشجار الغضيضة

هجرة السلالة الاوريّة

لجناب رفعتلو الدكتور بشاره زلزل

لما كانت مهاجرة اجدادنا الغابرين من غوامض المسائل التي كثر اختلاف علماء عصرنا عليها بين مثبت حقيقتها ومنكر حدوثها في الازمنة التي مضت قبل التاريخ حسب اختلافهم على وحدة الجنس البشري وكانت هجرة السلالة الاوريية موضوعًا للمباحث المفيدة والاكتشافات البديعة العديدة وكنت في ما سبق لي من الكلام على اخلاق الدمشقيين اشرت الى الهجرة المذكورة اظهارًا لمعادلة الهند الاراي بالهند الاوربي من حيثية النشأة فوُجد كلامي وقرًا على كاهل بعضهم فاعترض عليّ اعتراضات لا طائل تحتها انتهت معهُ اخيرًا الى نكران الهجرة المنوه عنها فقد اثرت زيادة هذه المسئلة ايضاحًا على ما ذكرتهُ في الصفحة ٤٢١ من المجلد الرابع من المقتطف غير متعمّد الرد عليهِ

لاتني اوليتهُ مني السكوت وربما كان السكوت عن الجواب جوابا

ولكن ما حداني على العود الى هذا الموضوع هو اعتقادي بانهُ لا يجمل السكوت عنهُ بالنظر الى اهميتهِ في هذا العصر واعتبارهِ من ذوي النقد والفضل فاقول

قد عُلِم مما سبق بيانهُ في الصفحة ٤٤ من المجلد الثالث من المقتطف ان الفيسيولوجيا توجب ان يكون الجنس البشري واحدًا تسلسلت منهُ الاصناف التي وهم بعضهم باعتبار كلٍّ منها جنسًا قائمًا بذاتهِ وهي ليست الاَّ تنوعات او انواعًا صدرت عن المثال الاصلي الذي هو نوعها الاعلى . فكل نوع من تلك الانواع هو سلالة . فالجنس البشري والحالة هذه لم ينشأ الاَّ من أبٍ وامٍّ قد امتاز أنسالها بالخصائص الذاتية المقوّمة للجنس . واذ قد تقرّر ذلك فمن البديهي ان يُسأل عن المحل الذي ظهرا فيهِ . وهذه المسئلة قد سبق بيانها ايضًا في المجلد الثاني من المقتطف (انظر الصفحة ٢٥٤) وحاصل ما هنالك ان جغرافيا الكائنات الآلية توجب ان يكون للجنس البشري قرار من الارض ظهر فيهِ في بدء وجودهِ كغيرهِ من اجناس تلك الكائنات وان ذلك القرار موجود على الارجح في بقعةٍ من اواسط اسيا حدّها العلاَّمة دوكاترفاج من الجنوب والجنوب الغربي بجبال حملايا ومن الغرب بالبولور ومن الشمال الغربي

بالاسيا ومن الشمال بجبال الطاي ومن الشرق بالكنكان ومن الجنوب والجنوب الشرقي بالفلبين والكونون. ولا يخفى ان العائلة البشرية في بدء امرها لم يكن بوسعها ان تشغل مساحة تلك البقعة بتمامها ولكنها لما تكاثرت ونمت انقسمت الى عائلات وتدريات وانساط ضرب كلٌّ منها في الارض الى حيث يصادف بحبوحة من الرزق يتحمل منها الضروري والحاجيّ مما يقدر على تحصيله معاشاً له. ولما كان تظلف العيش داعيًا الى التنقل كما هو شأن البداوة وقد عرف ان البشر في بدء امرهم كانوا على حالة من الخشونة والهمجية لا يستطيعون لديها سبيلاً الى السكون والدعة وتحصيل ما هو فوق الضروري من القوت والدفء الى غير ذلك فاستقرارهم حينئذٍ في محلّ وجودهم يكون ضربًا من المحال. وواقع الامر انه لما ضاق بهم ذلك المركز لكثرتهم اخذوا يرتحلون عنه متشعبين حوله الى جميع الجهات لا يألون جهدًا عن مطاردة الحيوانات الهائلة الضخمة واقتناصها لان الجزء الجوهريّ من غذائهم كان موقوفًا على لحومها. ولما لعبت يد التغير بحوادث الجوّ اندفعت تلك الحيوانات الى الجهات الجنوبية فاتبعتها آثارها اناس ذلك العصر وقد تركوا من الطُّرَر الذي استعملوه لصيدها في الاماكن التي غادروها ما استدلّ المحققون به وبغيره من آثارهم على حالتهم الهمجية المنوه عنها

هذا هو مبدأ مهاجرة سلفائنا الاقدمين التي انكرها بعض العلماء الاعلام كالدكتور كنوكس والعلامة اغاسز وغيرهما ممن اشتهروا بسعة العلوم والمعارف محتجين بان الانسان لم يقوَ وهو ضعيف حقير على تذليل صعاب السفر وقطع المهاد الشاسعة ومقاومة الموانع الطبيعية. وانكروا ايضًا معها وحدة الجنس البشري واعتقدوا بكثرة الاصول المنتمي اليها الانسان زاعمين ان كلاًّ منها وُجد منذ البدء في الاماكن الموجودة فيه سلفاؤه على ما نرى. ولما كان المقام يضيق بنا عن استيفاء آرائهم وايضاح اعتراضات اخصامهم اجتزينا بذكر الطرف المهم مما يناسب موضوعنا

لا يخفى ان المهاجرة لا تخلو من ذكرها صفحة من صفحات التاريخ وهي ليست حديثًا مفترى كما تشهد التقليدات والكتابات التي وُجدت في العالمين القديم والجديد وقد تقرر وقوعها من الشعوب البالغين اعلى درجات المدنية ومن الذين في اسفل دركات التوحش. وعلم الآثار القديمة والمستحجرات البشرية المكتشفة في طبقات الارض الجيولوجية تؤيد شهادات العلوم التاريخية. فما يزعمه المعترضون من وجود الموانع الطبيعية وعدم وجود الوسائل السهلة للتنقل في الازمنة القديمة كما هي موجودة عند المتمدنين الآن لا يصح ان يكون حجة لانكار هذه الحقيقة لانه ما من مانع يصد الانسان عن التقدم الى جهة مقصودة الاّ الانسان وليس تأثير الاوساط المهلك مانعًا عن الترحل ولو كان ذريعًا وليست الحالة المعيشية من دواعي التوطن ولكنها بالاحرى من دواعي التطواف والجولان لما تقدم. ويتضح ذلك من النظر الى ذوي الجلود الحمر سكان اميركا الاصليين الموقوفة معيشتهم على الصيد فهم مثال يؤثر عنه

حديث رجال تلك الاعصر الخالية في زمان الضحية وأبان الخشونة قبل ان ارتاحوا الى ادجان الحيوانات ورعاية السائمة وقبل ان تهيأت لهم وسائل السكن وبواعث الاستيطان والعمران وقبل ان اتسعت احوال التحاطم للمعاش وحصلوا على ما فوق الحاجة من الغنى والرفه فالوا الى الترف والتأنق بالطعام والكساء وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتحضر فاذ قد تقرر ان سلفنا الاقدمين كانوا صيادين عُرف بالضرورة ان التنقل دأبهم وبالتالي كان التنقل دأبًا للسلالة الآرية. وهو والحالة هذه لا يكون الى جهة معلومة ولا يتبع مسير الخطوط الجغرافية المرسومة على الخطوطات البسيطة

اما مقاد نص الزنداويستا هو الاشارة الى الاماكن التي حلت فيها السلالة المذكورة قبل ان عبرت نهر الكنك وتوغلت بالفتح متغلبة على ركنانا ولا يؤخذ منه انها اختطت تلك الاماكن طريقًا لها ولا كون مسيرها على الخط المستقيم نحو الجهة المقصودة ولا حدوث تلك الهجرة في ايام قصيرة للسفر. وحسب انها سارت الى بيت او الى بورما وصيام فهل من المنع ان تعاد رحل منها تلك الاماكن سائرة الى جهات اخرى سواء كان اتجاهها الى الشرق او الى الغرب او الى غيرها. وينقطع الظن عن التأويل نرى العلماء المحاربين قد اجمعوا على التسليم بصحة المنقول عنها فسموا السلالة الاوزية بالآرية للدلالة على كونها صدرت عن سكان ايران كما يستفاد منها. وليس هذا فقط ولكنهم زيادة عليه استدلوا منها على الزمن الذي حدثت فيه تلك الهجرة فان العلامة فيليان دوسان مارتن الطويل الباع بمعرفة مغازي ذلك الكتاب النفيس يردّ وصول الهنود الى نهر كابل الى الجيل السادس عشر او الثامن عشر قبل المسيح مبينًا انهم كانوا نخلة من المهاجرين الذين اوصلتهم الزنداويستا الى البولور. وهجرة هولاء ترد بحسب ما افاد العلامة المذكور الى الجيل العشرين او الخامس والعشرين قبل المسيح وذلك يقابل الزمن الذي هاجر فيه ابرهيم من اور الكلدانيين اي سنة ٢٣٦٩ ق.م. وما من احد يجهل كون الاوريين لم يشأوا منذ البدء في القارة التي ينسبون اليها ولا ينكر ان تاريخهم قاصر عن بيان احوالهم في زمن جاهليتهم فما فوق ولكنهم لم يثنوا عنان العزم عن طلب الحقائق يبذلون في استخراجها من دفائن الآثار ما عزّ ولهان. فما عُلم من تاريخهم عن اجدادهم الاولين هو ان الشيعيين او الفالين غادروا اسيا واجتاحوا منذ القدم قسمًا من اوربا الغربية ولا سيما الاراضي المشتملة على بلجيكا وفرنسا حتى الى غارون وقسمًا من سويسرا ثم بعد ذلك امتدت فتوحاتهم حتى الى الجزائر البريتانية. اما علم الآثار والمستخرجات البشرية فقد دلّا على شؤون اولئك القوم في بدء امرهم عندما كانوا يأوون الى الغيران والكهوف وعلى هذه الآثار بُني علم طبيعة الانسان بعد ان عقدت للبحث عنها المجامع العلمية الحافلة بكل عالم نحرير وجهبذ فهّامة. واذ لا يسعنا استيفاء الكلام على هذه المباحث المفيدة نقتصر على بعض الشهادات مما يثبت هجرة السلالة الاوزية من جهات اواسط اسيا

(ستاتي بقيتها)